المحاضرة الثامنة
موسيقى الموشحات

أولا: تعريف الموشحات:

الموشحات: جمع مُوشَّح[1]، وهو فنّ من فنون الشعر العربي، عرَّفَه ابن سناء الملك بقوله: "الموشَّح كلام مَنْظُوم على وزن مخصوص بقوافٍ مختلِفة". وجاء في أحد المعاجم الأدبية الحديثة أن الموشح: " شكل خارجي تتَّخذه القصيدة العربية يتكون من أجزاء معينة، لا يتحكم فيه وزن واحد أو قافية معينة، و يختلف باختلاف الشعراء" .

ثانيا: أقسام الموشح: يتكون الموشح من مجموعة من الأقسام، ولكلٍّ قسم منها اسم يميزه عن غيره، وهذه الأقسام هي :

1- المَطْلَع أو المذهب: و هو ما يُفْتَتَحُ به الموشح، و يتألَّف من قسمين (شطرين)غالباً، أو أربعة أحياناً، مثل ابن مهلهل في موشحته عن الطبيعة: **النهر سل حســـاما علي قدود الغصون**

وقد تختلف قافية الغصنين كما هو الحال في المثال السابق، وقد تتفق مثل موشحة ابن زهر:

فتق المسك بكافور الصباح ووشت بالروض أعراف الرياح

2- الدَّوْر[2]: و هو الجزء الذي يأتي بعد المطلع وقبل القفل، يتألف من ثلاثة أقسام على الأقل، وخمسة على الأكثر[3]، و يجب في كلّ دور أن يكون مُتَّفقاً مع بقية الأدوار في الوزن و عدد الأقسام دون القافية، وهو هنا قوله:

وللنسيم مجـــــــال
والروض فيه اختيال
مدت عليه ظـــلال

وإذا كان الموشح أقرعا فإنّ الدور يقع في مستهلّ الموشح ، وليس للموشح عدد أدوار يلتزم به. وقد ذكر ابن سناء الملك أن الموشحات الغنائية تكون خمسة أدوار غالباً، أما الموشحات الشعرية فلا قيد عليها في عدد الأدوار ، وقد بلغت عشرة أدوار في موشحة ((جادك الغيث ..لابن الخطيب))

3- القُفْل: و هو الجزء الذي يأتي بعد الدور والمتكرر في الموشحة، والمتفق مع المطلع أو القفل الأول، ويَلْزم أن يَتَّفق كل قفل مع المطلع، و مع بقية الأقفال، و مع الخرجة في الوزن والقافية وعدد الأقسام. وليست الموشحة مشروطة بعدد ثابت من الأقفال، وإن كانت العادة قد جرت على أن يكون للموشحة خمسة أقفال، ولذلك فإن الموشحة التي نتمثل بها هنا غير كاملة. والقفل في موشحنا هنا هو: والزهر شق كماما وجداً بتلك اللحون

4- الخَرْجَة: وسمّاها ابن بسّام في ذخيرته بـ(المركز)، وهي آخر قفل في الموشح، وهي تماثل المطلع والأقفال في الوزن والقافية وعدد الأجزاء. والخرجة في موشحنا السابق هي:

---

[1] - الموشح مأخوذ من التوشيح و هو التنميق و التجميل ، و لعلهم شبهوه بوشَاح المرأة و هو خَيْطَان من لؤلؤ وجَوْهر منظومان ، يُخَالف بينهما و يُعْطَف أحدهما على الأخر، ليكوِّنا عِقْداً تتوشَّح به المرأة، و الجامع بينهما هو التشابه في التجميل ، فالوشاح يُجَمَّل بما يُرَصَّع عليه من الجواهر، و الموشح يُجَمَّل بالتنويع بين أقفاله و أدواره

[2] - اختلف أهل فنّ الموشحات في تسمية بعض المصطلحات ولاسيّما منها الدور والقفل، حيث استخدم بعضهم مصطلح البيت الّذي يختلف في الموشح عن القصيدة التقليدية، فالبيت في القصيدة يتركَّبُ من جزأين (شطرين): صدر وعجز، أما في الموشح فيتركَّب من جزأين و هما: الدور و القفل. أمّا ابن سناء ومن سار على نهجه فقد أطلق مصطلح البيت على ما يُطلق عليه بـ (الدّور).

[3] - يتألف الدور من ثلاثة أجزاء على الأقل وخمسة أجزاء على الأكثر، مفردة أو مركّبة من فقرتين فأكثر. وقد يتركب الدور من أربع فقر على الأكثر وهذا نادر جدا في الموشحات الأندلسية

والبرق ساق الغماما تبكي بدمع هتـــونِ

قد تختلف الخرجة عن بقية الأقفال من حيث اللغة لأنها القفل الوحيد من الموشحة الذي يجوز فيه اللحن، حيث قد تكون العجمية أو مزيجا من العربية والعجمية أو العامية والعجمية. ولا يجوز تسرب اللحن إلى الأجزاء الأخرى من الموشح وإلاّ سُمّي موشّحا مُزنّما[4]، وقد عابه ابن سناء، وعدّ ناظميه من الضعفاء، حيث لم يأتي على بعض أمثلته في كتابه

ثالثا: مصطلحات لأشطر[5] الموشح: اختار الوشاحون مصطلحات مخصوص لتسمية بعض أشطر الموشح. وهذه المصطلحات هي:

أ- **الغُصْن**: و هو اسم اصطلاحي لكل قسم من أقسام المطلع، أو الأقفال، أو الخرجة، و يجب أن تتساوى جميع هذه الأجزاء الثلاثة في عدد الأغصان والترتيب والقافية ، وقلما تشذّ الموشّحات عن هذه القاعدة، وأقل عدد للأغصان في مطلع أية موشحة وفي أقفالها وخرجتها اثنان، وكما سبق يجوز أن تتفق قافية الغصنين ، ويجوز أن تختلف.

على أنّه من المألوف أن تتكون أقفال الموشح من أربعة أغصان مثل موشح لسان الدين :

جادك الغيث إذا الغيث همي يا زمــان الوصـــل بالأندلس
لم يكـــن وصلك إلا حلمــا في الكرى أو خلسة المختلس

ب-**السِّمْط** : هو اسم اصطلاحي لكل شطر من أشطر الدور ، و وقد يكون السمط مكوناً من فقرة واحدة كما هو الحال في موشحنا هذا، وربما تتألف من فقرتين أو أكثر. و يجب أن تتساوى جميع الأدوار في عدد الأسماط ، وأكثر من تصل إليه الأسماط أربعة كقول عبادة القزاز:

بدر تــمّ شمس ضــحي غصــن نقا مسـك شم
ما أتـــمّ مـــا أوضحــا ما أورقـــا مـــا أنـــم
لا جــرمْ مـــن لمحــا مذ عشـقا قـــد حرم

رابعا: أوزان الموشحات

كانت الموشحات ثورة على الأوزان التقليدية للشعر العربي، و على قوافيه، و قد لاحظ ابن سناء الملك أن الموشحات تنقسم إلى قسمين :

1 - ما جاء على أوزان أشعار العرب: و قد لجأ الوشّاحون إلى التنويع في أوزان الموشحة الواحدة، مع مراعاة أنَّ الأوزان التي يختارونها غالباً ما تكون من البحور الرشيقة الخفيفة، وقلَّ أن يستخدموا بحور الطويل والكامل والوافر و غيرها من البحور الشائعة التي تعتمد على طول النَّفَسِ و كَثْرَةِ التفعيلات. وقد قسّمه ابن سَنَاءْ المُلْكِ إلى قسمين:

أ- **القسم الّذي لا تختلف أوزانه على أوزان الخليل**: وهو الوزن[6] الّذي كان أكثر شيوعا في بداية نظم الموشحات، ولعلّ الأوزان الّتي نظم عليها الوشاحون هي الرمل غالبا، والرجز والخفيف والهزج والسريع والمتقارب والبسيط

ب-**القسم الّذي جاء على أوزان العرب**: وهو ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضا، فمثال الكلمة قول ابن بقّي[7]:

---

[4] - زَنَم الشاةَ أو البعيرَ: قطع من أُذنه هَنَةً فتركها معلَّقَة، زنُم الشَّخصُ: كان في غاية اللُّؤم: لئيم يُعرَف بلؤمه كما تُعرف الشَّاة بزَنمتها، الزَّنِيمُ: دعِيّ، ملتصق بغير قومه فلان زَنِيم لا يُعرف له نسب،

[5] - لعلّ التسمية الّتي اصطلحها الوشاحون- بادئ الأمر- على أشطر الموشحة هي الجزء

[6] - غير أنّ ابن سناء المُلك هاجمه هجوما قاسيا لأنّه أشبه بالمخمّسات، ولا ينظمه إلاّ الضّعفاء. وقد استثنى منه الموشح الذي تختلف قوافي قفله فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات ومنه قول ابن زهر الحفيد (انظر النموذج)

صبرتُ والصبر شيمةُ العاني ولم أقلْ للمطيلِ هجـــراني معذبي كفاني

2 - ما جاء على غير أوزانهم المألوفة: وهو أكثر ما بنيت عليه الموشحات في مراحل تطورها، وقد حاول ابن سناء ضبط أوزانها، لكنّه عجز عن ذلك، لما يدخلها من تغييرات لا تحتكم إلى وزن منضبط[8].

خامسا: موضوعات الموشحات

كانت الموشحاتُ في أول الأمر وثيقة الصِّلة بالغناء، و كانت الأغراض التي تُنَاسبها هي الغزل ووصف الطبيعة، و فيها قِيلَتْ أكثر الموشحات و أشهرها، و ما لبثتْ أن اتَّسعت لجميع الأغراض، فقد نَظَم الوشَّاحون في المديح و الهجاء وأزجاء التهاني في المناسبات، ثم رثاء أبطال المسلمين في حروبهم مع الفرنجة .

نموذج من الموشحات:

و فيما يلي إحدى الموشحات للاستعانة بها على توضيح مدلولات هذه المصطلحات التي أطلقها الوَشَّاحون على الأجزاء التي يتركَّبُ منها الموشح عادة .

موشح (أيُّها الساقي إليك المشتكى) لابن زهر الأشبيلي

المطلع		أيُّها الســـاقي إليك المشتـــــكى قد دعـــــوناك وإن لم تسمعِ غصن غصن
البيت	الدور	وندي___مٍ هِمْتُ في غُرَّتِـــــــــهِ (سمط) وشربْتُ الراحَ من راحتِـــــــــهِ (سمط) كلّما استيقظ من غفوتِـــــــــهِ (سمط)
	القفل	جذب الزقّ إليـــــــه واتّـــكا وسقـــــاني أربـــــعا في أربعِ غصن غصن
البيت	الدور	غصنُ بانٍ مال من حيث استوى (سمط) باتَ من يهواه من فَرط الجـــوى (سمط) خافقَ الأحشاءِ موهونَ القـــــوى (سمط)
	القفل	كلّـــما فكّـــر في البَيْنِ بـــــــكى ويحـــه ! يبـــكي لِمَـــــا لم يقعِ غصن غصن

---

[7] - ابن سناء الملك: دار الطراز، ص46. ويرى ابن سَناء المُلك أنّه لولا وجود الجزء الثالث من القفل؛ وهو "معذبي كفاني"، لكان من وزن المنسرح. أما الوشاحون فلم يحرِّموا وزن المنسرح على الموشحات الأندلسية.

وقد يلجأ الوشّاح إلى إدخال قافية في جزء من القفل وتكرارها بعينها في الجزء الثاني من القفل نفسه شريطة أن تكون مختلفة عن القافية الأصلية وإلا أصبح الموشح شعراً صرفاً حسب قول ابن سَناء، ومن ذلك هذا المطلع لابن بقّي الطليطلي:

يا ويح صبٍّ إلى البرق له نظرُ وفي البكاء مع الوُرق له وَطرُ

فهذا من البسيط، وقافية الجزء الأول من هذا المطلع هي قافية الجزء الثاني نفسها، ولولا حيلة الوشّاح بإدخال قافية في وسط الوزن مخالفة للقافية الأصلية وتكرارها في الجزء الثاني لكان هذا الموشح من النوع الذي استهجنه ابن سَناء، إذ أصبح القفل يتألف من أربعة أجزاء بدلاً من جزأين وذلك بعد كسر الوزن. فوزن هذه الموشحة هو بحر البسيط المشطور، وإن الغرض من القافية الداخلية هو تجزئة الوزن وليس تغييره.

[8] - يقول ابن سناء: "القسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير، والعدد الذي لا ينحصر، والشارد الذي لا ينضبط. وكنت أردت أن أقيم لها عروضًا يكون دفترًا لحسابها، وميزانًا لأوتادها وأسبابها، فعز ذلك وأعوز، لخروجها عن الحصر، وانفلاتها عن الكف، ومالها عروض إلا التلحين، ولا ضرب إلا الضرب، ولا أوتاد إلا الملاوي، ولا أسباب إلا الأوتار، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور، والسالم من المزحوف. وأكثرها مبنى على تأليف الأرغن، والغناء بها على غير الأرغن مستعار وعلى سواه مجاز". ابن سناء الملك: دار الطراز في فنّ الموشحات، ص47.

البيت	الدور	ما لعيـــــــــني عَشِيَتْ بالنظرِ (سمط) أنْكـــــــرَتْ بَعدَك ضوءَ القمرِ (سمط) وإذا ما شِئْتَ فاسمـــــع خبري (سمط)
	القفل	عشيَتْ عيناي من طولِ البُـــكا وبكى بعضـــي على بعضي معي غصن غصن
البيت	الدور	ليس لي صـــــــبرٌ ولا لي جلدٌ (سمط) يا لَقـــــــومي عذلوا واجتهدوا (سمط) أنكروا شكـــــــوايَ ممّا أجدُ (سمط)
	القفل	مثلُ حـــــالي حقُّه أن يشتكى كمدَ اليـــــأسِ وذُلَّ الطمعِ غصن غصن
البيت	الدور	كبدي حـــــرى ودمعي يكفُ (سمط) يعرفُ الذنبَ ولا يعـــــترفُ (سمط) أيُّها المعـــــرضُ عمّا أصفُ (سمط)
	الخرجة	قد نما حبُّك عنـــــدي وزكا لا تقل في الحبِّ إنّي مُـــدّعي غصن غصن